الفصل الثاني

واقع ظاهرة العنف لدى الطلبة بالمدرسة الثانوية

الفصل الثاني

واقع ظاهرة العنف
لدى الطلبة بالمدرسة الثانوية

مفهوم العنف

يعنى العنف في أصله اللغوي الأخذ بالشدة والقسوة فهو عنيف[7]، وهذا الأصل اللغوي يبرز عنصران: العنصر الأول عنصر الشدة أو القوة وهى مستمدة من الطبيعة كما في العاصفة، أو السيل الجارف، والعنصر الثاني هو عنصر القسوة أو الغلظة، وفي العنصرين يتمثل فعل الإيذاء أو الضرر. ويوصف جريان النهر بأنه عنيف حينما تطغى المياه على شطآنه فتهلك الزرع والحرث وتخرب المساكن والأماكن. ومن ثم يحمل طغيان النهر في جريانه الضرر والأذى لكل ما يوجد على شطآنه.

ولقد عرفت كلارك (Clark) العنف بأنه «تصرف صادر من أعضاء جماعة اجتماعية تتمتع بقوة... موجه إلى أعضاء جماعة اجتماعية تفتقر إلى تلك القوة...»[8] ومن ثم يشير مفهوم العنف (Violence) إلى استخدام الضغط أو القوة استخداما غير مشروع أو غير مطابق للقانون، ويكون من شأنه التأثير على إرادة فرد ما، وهنا يكون العنف بمعنى الإكراه. ومن الناحية القانونية نجد أن الإكراه إذا وقع على من تعاقد يكون سببا في بطلان العقد.[9] فالإكراه يبطل شرعية العقد، لأن الإكراه يسلب حرية الإرادة، ومن ثم يبطل التعاقد لفقد حرية الإرادة.

وتجمع تعريفات العنف «على أن عناصر العنف تبدو واحدة تقريبا وهى: التعبير الصريح عن استخدام القوة الجسدية ضد الآخرين... لإحداث قتل أو جرح أو إصابة، وأضافت بعض التعريفات أعمال التخريب للممتلكات والحوادث غير المتعمدة، بينما ضمنت تعريفات أخرى العنف السيكولوجي مثل السب والإهانة».[10]

وإذا كانت كلمة العنف تشير «على المستوى الوصفي ببساطة إلى القوة الجسمانية المستخدمة للإضرار (بالغير) فإنها تشير على المستوى الأخلاقي إلى استخدم القوة الجسمانية غير المقبولة للإضرار بشخص أخر»[11] وبذلك يكون العنف مظهرا لسلوك الاعتداء على الآخرين وإلحاق الضرر بهم باستخدام القوة الجسمانية من جانب الشخص العنيف، دون مراعاة لحقوق قانونية للأفراد أو مراعاة لأصول وأعراف اجتماعية سنها المجتمع، ومن ثم يرمى العنف إلى إزالة الحدود القانونية والاجتماعية للأفراد في المجتمع نتيجة للقانون والواقع الاجتماعي، لأن مفهوم العنف يرتبط بالضرر أو الأذى الذي يصيب شخصا أو مجموعة من الأشخاص.

وعلى ذلك يجسد العنف معنى الاعتداء والتهجم على الآخرين، فتنتهك حرماتهم وتسحق حقوقهم وتستباح ممتلكاتهم، لأن العنف يحمل معنى العدوان غير المبرر أو المتهور أو المفرط، أو غير العقلاني. فالإنسان الغاضب مثلا يرفض أن يستمع لصوت العقل، والشخص العنيف (الذي يمارس العنف) يرفض أن يتفهم الوسائل المتاحة والظروف، كما يرفض الاستماع إلى النقد، ولا يعمل لتصرفاته أي حساب، ولا يراعى حقوق الآخرين. وبذلك يكون العنف في أحد جوانبه مظهرا من مظاهر عدم النضج النفسي والاجتماعي والأخلاقي، لأن العنف

سمة انفعالية مكتسبة، وغير مقبولة اجتماعيا، عندما تتجاوز حدودها الطبيعية في النفس البشرية.

العنف من منظور سسيولوجي:

يقوم الباحث في هذا الجزء من المعالجة العلمية لموضوع الدراسة بالتحليل السسيولوجي لسلوك العنف من خلال ثلاث نظريات هي:

1- نظرية التفاعل الاجتماعي.
2- نظرية الضبط الاجتماعي.
3- نظرية الإحباط – العدوان.

1ـ نظرية التفاعل الاجتماعي والعنف:

يرى أصحاب نظرية التفاعل الاجتماعي أن العنف سلوك متعلم، أو سلوك يتم تعلمه من خلال عملية التفاعل الاجتماعي،[12] فالناس يتعلمون سلوك العنف بنفس الطريقة التي يتعلمون بها أي نمط أخر من أنماط السلوك الاجتماعي، وهناك كثير من الأدلة التي تؤكد أن سلوك العنف يتم تعلمه عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية التي تقوم بها المؤسسات المختلفة للتنشئة الاجتماعية كالأسرة، والمدرسة، وجماعة الرفاق أو ثلة الأصدقاء وغيرها.

وحيث إن سلوك العنف يتم تعلمه داخل الأسرة بطريقة مباشرة كالأسرة المتصدعة أو المتهاوية وذلك عن طريق المثل أو القدوة من خلال أعضاء الأسرة كالأب أو الأخ مثلا وأيضا في حالة مشاهدة الأبناء للصراعات وسلوك العنف من جانب أفراد الأسرة تجاه أفراد من أسر أخرى، مثل حالة التشاجر مع الأسر الأخرى والأفراد الآخرين، في مثل هذه الحالات يزداد احتمال اكتساب الأبناء

لنمط السلوك العنيف. وقد يكتسب الأبناء هذا السلوك العنيف ويتعلموه بطريقة مباشرة عندما يتعلمون معايير وقيم سالبة معينة تعتبر العنف على أنه شئ طيب في مواقف محددة، ويشعرون بأن العنف هو وسيلة لحل المشكلات والصراعات في حياتهم، وهو الطريقة الوحيدة لإشباع الرغبات والحصول على الاحتياجات وأنه ضروري للمعيشة والنجاح في الحياة من وجهة نظرهم.

وعلى ضوء نظرية التفاعل الاجتماعي هذه يمكن تجنب العنف عن طريق عدم تعلمه، وبالتالي يمكن التخفيف من حدة العنف والسلوكيات العنيفة داخل المجتمع، عن طريق تغيير محتوى أو مضمون عملية التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة بإحداث بعض التغييرات الثقافية، وكذلك إعداد بعض البرامج القومية الفعالة لعلاج مشكلة العنف من خلال المدارس ووسائل الإعلام المختلفة خاصة المرئية منها لتأثيرها القوى والفعال، حيث إن «معظم بحوث الإعلام المتعلقة بالتأثير السلوكي تركز على التأثير السلبي لوسائل الإعلام المتمثل في خلق وتدعيم أنماط السلوك غير المقبول اجتماعيا، وبالذات تأثير التعرض للعنف في وسائل الإعلام على (إيجاد) وتعليم أنماط السلوك العدواني»... وأثبتت الدراسات بما لا يدع مجالا للشك وجود علاقة السببية بين التعرض للعنف وزيادة وتدعيم السلوك العدواني للمتعرض[13] لسلوك العنف. ومن الجدير بالإشارة أن العنف «جزء أساسي من الفن الإعلامي وبالذات فن الدراما التليفزيونية فهو جزء من الحياة الإنسانية ذاتها، والمشكلة الأساسية ليست هي العنف الذي يعكس الصراع الإنساني الذي لا يخلو منه عصر، ولا مكان يقطنه الإنسان، بل إن المشكلة (تكمن) في العنف التجاري، أي العنف الذي يتم تعليبه في وسائل الإعلام ليساعد (ويروج) بيع محتوى تلك الوسائل كسلعة تجارية والمشكلة هي في العنف (المعلب أو المغلف)... المشكلة في تقديم العنف في وسائل الإعلام لمجرد الإثارة والتسلية، مثل هذا

العنف قد ينقلب في نهاية التسلية والإثارة إلى واقع مؤلم [14] بفعل التأثير السلبي القوى والفعال لوسائل الإعلام في تجسيد العنف بأنماطه السلوكية المختلفة، وتبدلاته الوضعية عبر المشاهد المختلفة لسلوك العنف. ومن المؤسف أن العنف قد أضحى مكونا أساسيا من مكونات الترفيه في أدب الأطفال والأدب العالمي وصناعة السينما».

2- نظرية الضبط الاجتماعي والعنف:

ترى نظرية الضبط الاجتماعي[15] أن العنف يعتبر استجابة للبناء الاجتماعي، حيث يظهر العنف عندما يفشل المجتمع في وضع قيود وضوابط محكمة على أعضائه. بمعنى أن العنف يظهر نتيجة لضعف البناء الاجتماعي وخلوه من القيود والضوابط الاجتماعية المحكمة لضبط سلوك الأفراد في المجتمع.

ويذهب أصحاب نظرية الضبط الاجتماعي إلى أن خط الدفاع الاجتماعي الأول بالنسبة للمجتمع يتمثل في معايير الجماعة التي لا تشجع على العنف، وترفضه، لأنه سلوك غير مقبول ومستهجن اجتماعيا، فالأسرة التي تفشل في ضبط سلوك أفرادها يتم ضبط سلوكهم عن طريق الشرطة والخوف من القانون وعقابه الرادع. أى عن طريق وسائل الضبط الاجتماعي الرسمية وعندما تفشل هذه الوسائل الرسمية للضبط الاجتماعي يظهر السلوك العنيف في المجتمع، ويسود بين أفراده في صورة مظاهر وأنواع مختلفة للعنف.

3- نظرية الإحباط ـ العدوان والعنف:

ترى هذه النظرية أن الإحباط كثير ما يؤدى إلى العنف[16]. ويظهر العنف لدى الأفراد في المجتمع نتيجة إحساسهم بعدم العدالة وعدم المساواة، أي

إحساسهم بالظلم الاجتماعي داخل المجتمع. ومن ثم يكون العنف في هذه النظرية راجعا إلى البناء الاجتماعي، فالمجتمعات الفقيرة والمتخلفة يشعر سكانها بالإحباط، ويرغبون في جمع السلع والمواد الغذائية وكل ما يلزمهم في حياتهم ومعيشتهم، ولكنهم لا يستطيعون الحصول على كل ما يرغبونه بطريقة شرعية، لذا فهم يشعرون بالإحباط، ونتيجة لشعورهم بالإحباط يظهر لديهم سلوك العنف والعدوان في حياتهم وتنتشر بينهم ثقافة العنف، كثقافة فرعية لمجتمعات الفقر والتخلف التي يعيشون فيها. ويصبح العنف من أساليب حياتهم وسلوكا طبيعيا في معيشتهم، ولا ينظرون إلى العنف على أنه تصرف غير أخلاقي ولا يشعرون بأنه سلوك مستهجن، كما لا يشعرون بالذنب نتيجة عدوانهم على الآخرين.

أنواع العنف:

يتم تصنيف العنف وتنويعه إلى أنواع عدة، ويتطلب الأمر التفرقة بين هذه الأنواع على الوجه التالي:

1ـ من حيث الشرعية:

أ- عنف شرعي.

ب- عنف غير شرعي.

أـ العنف الشرعي (Legitimate Violence):

فهو العنف الذي يشرعه القانون وتقره سلطات الدولة لاستقرار النظام واستتباب الأمن والمحافظة على هيبة الدولة، ومثال هذا النوع عندما يقوم أحد رجال الشرطة أو مجموعة منهم، باستخدام القوة ضد أحد الأفراد (كدفع أو طرح أحد المجرمين على الأرض) وإن هذا النمط من السلوك ضروري في مقاومة

المجرمين أو الخارجين على القانون أو النظام في المجتمع. وهذا هو المقصود بالعنف الشرعي. أي العنف المقبول قانونا ومن ثم لا يرتب القانون على من يقترفه عقابا، وتستخدم سلطة الدولة العنف بطريقة شرعية لحماية الشرعية القانونية والنظام في المجتمع[17] واستخدام القوة واستعمال السلاح والقنابل المسيلة للدموع في فض الشغب وقمع المظاهرات وتفريق المتظاهرين لعودة السكينة والنظام واستتباب الأمن. وكذلك مداهمة رجال الشرطة لوكر من الأشرار والمجرمين أو الخارجين على القانون. وكذلك هدم البناء المقام على أرض زراعية تنفيذا للقاعدة القانونية التي تحظر وتجرم البناء على أرض زراعية وغيرها.

ب- العنف غير الشرعي (Illegitimate Violence)

وهو العنف الذي لا يحميه ولا يقره القانون، عكس العنف الشرعي، فعندما يقوم أحد أفراد المجتمع بضرب أو طرح فرد أخر على الأرض، فإن ذلك السلوك يعد ممارسة لسلوك عنيف يعاقب عليه القانون. كمن يحدث بآخر كدمة أو جرح أو كسر وغير ذلك.

2- من حيث القائم بالعنف (الفاعل):

أ- عنف فردى.

ب- عنف جمعي.

أ- العنف الفردي: (Individual Violence):

وهو العنف الذي يقوم به أحد الأفراد، مثل قيام فرد بضرب فرد آخر، أو قتله، أو شتمه وسبه أثناء غضبه. وهو عنف فردى لأنه يحدث بين الأفراد في حياتهم اليومية.

بـ العنف الجمعي: (Collective Violence)

ويتمثل هذا النوع من العنف في حالة الإرهاب أو الحرب[18] حيث تقوم جماعة في مواجهة جماعة أخرى.

3ـ من حيث نوع الضرر:

أ - عنف مادي.

ب- عنف معنوي.

أ ـ العنف المادي:

كالضرب والجرح والقتل، وغيره مما يؤذى البدن وسلامة الجسد.

بـ العنف المعنوي:

كالشتم والسب، وغيره. مما يؤذى النفس والاعتبار والمكانة في المجتمع.

وهناك تصنيف آخر من وجهة نظر (Guerra & Tolon) 1994 حيث يتفرع العنف إلى أربعة أنواع هي: [19]

1- **العنف الموقفي**: وهذا النوع من العنف ينتج من عوامل موقفية معينة، تسهم وتضخم من العنف، مثل الفقر وإدمان الكحول والمخدرات، وجماعة الرفاق أو الشللية، وسهولة الحصول على الأسلحة وتداولها.

2- **عنف العلاقات بين الأفراد**: وينتشر هذا النوع من العنف بين المراهقين، وينشأ من المشاحنات والمشاجرات الشخصية بين الأفراد في علاقاتهم بعضهم البعض.

3- **العنف السلبي الضار**: وهذا النوع من العنف يكون جزءا من جريمة، أو سلوك غير مقبول اجتماعيا ، من أمثلة ذلك الجرائم المختلفة، من قتل وسرقة، وسب وقذف وغيرها.

4- **عنف الأمراض النفسية**: وهذا النوع من العنف يكون أكثر انحرافا، وتكرارا من الأنواع السابقة، ويرجع هذا النوع إلى خلل في الجهاز العصبي أو صدمة نفسية حادة.

مظاهر العنف لدى الطلبة :

يمكن تصنيف تلك المظاهر إلى مظاهر عالمية ومظاهر محلية.

أولا : المظاهر العالمية :

يتضح من التقرير السنوي لليونيسيف 1999 (وضع الأطفال في العالم – التعليم) أن العنف وفق العديد من التقارير هو من المشكلات الرئيسية في مدارس البلدان الصناعية، كما هو في كل أنحاء العالم، فيقوم أطفال مسلحون بإطلاق النار على المعلمين وعلى أقرانهم من الطلاب،... فالأطفال في المملكة المتحدة على سبيل المثال غالبا ما يجرى التذمر عليهم من قبل أطفال آخرين في ساحة (فناء) المدرسة، وفي سنة 1995 تعرض 4٪ من الطلاب الأمريكيين البالغة أعمارهم (12–19) عاما لحوادث عنف في المدرسة، وفي السويد تذكر التقارير أن هناك في المتوسط 1500 فتى و500 فتاة يحتاجون إلى العناية الطبية في كل صف مدرسي من جراء هجوم الطلبة الآخرين عليهم،[20] أي نتيجة العنف والاعتداء عليهم من أقرانهم. وتتبدى مظاهر العنف في الولايات المتحدة الأمريكية في حمل الطلبة لأسلحة نارية وهم ذاهبون إلى المدارس يوميا، واعتدائهم بإطلاق الرصاص على زملائهم وعلى مديري المدارس، وعلى معلميهم، وحدثت حوادث قتل جماعية. وفي انجلترا يتكرر نفس الشيء، وفي اليابان يحمل الطلاب السلاح الأبيض وهو منتشر في عدد من المدارس. [21]

ومن ثم يمكن القول إن العنف لدى الطلبة يكاد يكون ظاهرة عالمية ترتبط بالشباب في مختلف الدول والبيئات، ولا يكون قاصرا على دولة بعينها ولا بيئة محدده بالذات.

مظاهر العنف لدى الطلبة في أمريكا:

لقد أصبحت ظاهرة العنف في المدارس الثانوية الأمريكية والسلوك الفاضح للطلبة، من المشكلات الشائعة، ويجتهد رجال الإدارة وصانعي السياسة أنفسهم لإيجاد الوسائل التي يواجهون بها هذه المشكلات، وهذه الحالات من سوء السلوك ويقال إنها في زيادة مستمرة فالطلبة يتحدثون بصوره غير لائقة، ويثورون في عصبية ويتركون حجرات الدراسة، ويسخرون أو يمزحون من ومع زملائهم، وفي هذه الأثناء تقع أحداث العنف ولا ينتظر من الطلبة في مثل هذه الحالات أن يحترموا كل منهم الآخر، أو أن يحترموا معلميهم ومشرفيهم، وكثيرا جدا ما تقع المشاجرات والاقتتال بينهم، ويقع البعض صرعى، حيث يأتي الطلبة إلى المدرسة ومعهم أسلحة بيضاء وأسلحة نارية، ويتزايد إطلاق النيران بشكل عشوائي وانتقامي، والشاهد على ذلك السلسلة الأخيرة من أعمال القتل المتعددة في المدارس. ولقد تعرض المعلمون للتهديد والإصابات بل والقتل في عدد من الحالات التي انتشرت، وظاهرة العنف ليست في مدرسة بعينها أو في منطقة معينة أو في وسط أو بيئة اجتماعية واقتصادية معينة، بل يشيع العنف وينتشر في جميع المدارس الأمريكية بشكل وبائي، حتى إنه أصبح هدفا قوميا من أهداف التعليم أن تكون المدارس آمنة. وخالية من العنف والمخدرات. [22]

ولقد وصل العنف بين الشباب في الولايات المتحدة الأمريكية إلى ظاهرة مرضية حيث ارتفعت نسبة المقبوض عليهم أقل من 18 عاما بين عامي (1981-

1990) إلى نسبة 60٪ بالنسبة لجرائم القتل،... كما ارتفعت نسب المقبوض عليهم من الأحداث في جرائم الاغتصاب والهجوم إلى 65٪ (المكتب الفيدرالي للتحقيقات 1991) ومعظم جرائم العنف التي ارتكبها الأحداث ارتكبت في المدارس القومية... أي في المدارس الحكومية.[23]

ولقد أوضحت دراسة (Bryson) (1995) أن مظاهر العنف لدى الطلبة والسلوكيات المصاحبة له في المجتمع الأمريكي تتمثل في:

الاعتداء على المعلمين والذي تزايد عن الحد في الخمس والعشرين سنة الأخيرة، وإشعال الحرائق داخل المدارس، والتخريب المتعمد للممتلكات والأثاث، والتعدي على القوانين واللوائح المدرسية، وعدم احترامهم للقانون يرجع إلى افتقارهم إلى العقاب القانوني الرادع، وتعاطي الطلبة للمخدرات، وكسر إشارات المرور، وتكوين العصابات من بين مجموعات الشباب، وحمل الأسلحة واستخدامها.[24]

مظاهر العنف لدى الطلبة في الأرجنتين:

تتمثل مظاهر العنف لدى الطلبة في الأرجنتين في الخروج على النظام وعدم الانضباط، إثارة الفوضى والشغب داخل المدارس خاصة في آخر العام الدراسي، كما تتمثل تلك المظاهر أيضا في عدم احترام المعلمين ومساعديهم، وكذلك في عدم احترام المديرين. لذا يكون على الطلاب في الأرجنتين إظهار الاحترام الواجب للمعلمين ومساعديهم، وللمديرين، وإلا تعرضوا للإنذارات والإيقاف الفوري عن الذهاب إلى المدرسة. ويشمل الإنذار اسم الطالب وأسباب العقاب والإجراء الذي تم اتخاذه ضده، ويرسل الإنذار إلى والد الطالب أو المسئول والمتولي أمره للعلم والتوقيع بذلك. وعندما يتجمع 25 نقطة إنذار ضد الطالب

يوقف عن الذهاب إلى المدرسة، وعليه يمر بعملية اختبار شامل قبل أن يقبل مرة ثانية كطالب في المدرسة.[25]

مظاهر العنف لدى الطلبة في المكسيك:

لقد أوضح فيرلان Furlan (1998) أن مظاهر العنف لدى الطلبة كما أشار إليها المعلمون والمستشارون والإداريون، تتمثل في: الاعتداء على المعلمين وعدم احترامهم وضربهم، ويتخذ أشكالا عدة من قذف بالحجارة أو الفاكهة الفاسدة، وتحدى المعلم للنزال، وأحيانا الاعتداء الجسدي على المعلم، كما تتمثل أيضا في الاعتداءات اللفظية على المعلمين، وكذلك في اقتحام المدرسة والهجوم عليها، والحضور المتأخر، وعدم حضور الدرس بالرغم من التواجد على أرض المدرسة، وعدم الالتزام بالقواعد والنظم المدرسية، ويظهر ذلك في طريقة الكلام غير اللائقة، والملبس غير المناسب وعدم الهندام، واللغة البذيئة، ومرور الطلاب على الأماكن سيئة السمعة واكتسابهم العادات السيئة مثل الكتابة على الجدران وتناول الكحول، وحيازة العقاقير والمخدرات واستخدامها في المدارس، وحمل الأسلحة البيضاء والمسدسات، والتخريب المتعمد لمباني المدرسة وأثاثها، فالأبواب المكسورة والكراسي المحطمة والمراوح المهشمة والجدران المشوهة يعد جزءا من الحياة اليومية، وقد تجد طالبا يكتب على الجدران وآخر يلقى بالكرسي أو حقيبة زميله من الطابق العلوي بالمدرسة، وليس غريبا أن ترى طالبا عنيدا أحدث فرقعة نارية أو قنبلة دخان أثناء الامتحانات فيتسبب في إيقاف الامتحانات أو تعطيلها. كما تتمثل مظاهر العنف لدى الطلبة في المكسيك في المعارك بين الطلبة، وتختلف من مجرد التشابك بالأيدي إلى استخدام آلات حادة، وإما أن تكون بشكل فردى أو شكل جماعي، وتختلف أسبابها من حب فرض السيطرة إلى معاكسات للبنات، وأحيانا

تأخذ شكل العصابات المسلحة بالعصي والقضبان الحديدية، والسلاسل وأحيانا المسدسات.

وتحدث هذه المواقف داخل المدرسة، وقد تؤدى إلى تصدع النظام المدرسي وإفساد الحياة المدرسية وذلك قبل أن يتأسس نظام الأمن في المكسيك.[26]

ومن مظاهر العنف لدى الطلبة في المكسيك أيضا تخريب البيئة المحيطة بالمدرسة كالتخريب المتعمد للأشجار وإتلافها، وكذلك الحدائق، والمباني المحيطة بالمدرسة فالشباب الذين يهربون من المدرسة لأسباب مختلفة، يصبحون أعضاء في جماعات من الأشرار وعصابات تخريبية، كما يقومون ببيع العقاقير المخدرة، والكحول والخمور، والسجائر المخدرة، وشم المواد السامة وبيعها.[27] وذلك حول أسوار المدارس أو بالقرب منها.

ثانيا المظاهر المحلية:

العنف لدى الطلاب كما يبدو من التحليل السابق – لبعض الدول – ظاهرة عالمية، ومن ثم فهو ليس بظاهرة محلية خاصة بدولة دون دولة أو مجتمع دون غيره من المجتمعات الأخرى. ولكنه ظاهرة جديدة نسبيا (وغريبة) في مجتمعنا (مصر) الذي كان وما زال يتمتع بقدر كبير من التسامح والمسالمة والبعد عن العنف.[28]

وتطالعنا الصحف اليومية في مصر بأخبار بين الحين والآخر تدعو للدهشة والتساؤل هل هذا يحدث في مدارسنا الثانوية، وفي الشوارع والطرقات المؤدية إليها، ويحدث من طلاب العلم والمعرفة بها؟! ويحدث داخل حجرات الدراسة، وخارجها، وفي أوقات الفسح وفترات ما بين الحصص وفي الأفنية المدرسية، وخارج أسوار المدرسة بعد انتهاء اليوم المدرسي، إن أشياء وأمورا مؤسفة تحدث

منهم، يجمعها وصف واحد بأنها سلوك عنيف. وهكذا تجسد ثقافة العنف لدى الطلبة بالمدارس الثانوية قيمة القوة وتدحض قيمة العقل، فالطالب الذي يعتدي على زميله أو علي معلمه لا يعرف أن عقله يمكن أن يكون سلاحا أكثر قوة من جسده، وأنه لا يدرك أن تنمية عقله بالعلم والمعرفة وشحذ قوته العقلية لتحقيق التفوق والإنجاز العلمي، إنه بذلك يضيف إلى قوة أمته قوة.

ويوضح تقرير المجلس القومي للتعليم في دورته الخامسة والعشرون (1997-1998) أن العنف بين الطلبة له مظاهرة الخاصة، فهو قد يبدو في صورة اعتداء من الطلبة على زملائهم ممن يخالفونهم الرأي أو الفكر أو العقيدة، كما يظهر في صورة تحطيم لأثاث المدرسة، أو اعتداء على المدرسين وأعضاء الهيئة الإدارية بالمدرسة، أو الانضمام إلى بعض التنظيمات والجماعات المنحرفة (وتكوين العصابات) أو حالات الغش الجماعي، وغيرها. (ويستطرد التقرير) في أن كثيرا من الدراسات والبحوث قد أوضحت أن هناك كثيرا من المظاهر السلوكية السلبية لدى.. الطلبة في هذا العمر (15-18سنة) فهناك مشكلات مرتبطة بالعنف وأخرى مرتبطة بالتعدي على القوانين والأعراف مثل التعدي على لوائح المرور وقواعده أو لوائح الانتظام في المدرسة، وأخرى مرتبطة باللامبالاة وضعف الانتماء وغياب الدافع عن أداء بعض الأعمال، كما تظهر مشكلات سلوكية في صورة رفض للأنماط الاجتماعية السائدة والتقاليد الراسخة، أو في صورة محاولات للكسب السريع غير المشروع الذي يترتب عليه سلوكيات تكشف عنها صفحات الجريمة في الصحف والمجلات.[29]

ويؤكد السيد وزير التربية والتعليم وجود ظاهرة العنف لدى الطلاب ويقول: «اليوم ظاهرة العنف لا نستطيع أن ننكرها... حوادث تقع وهي ليست

خاصة بمصر فقط... فحوادث العنف كثيرة في كل مكان، في مصر تحدث بعض الحوادث إنما أكاد أقول إننا أقل من غيرنا بكثير... (ويستطرد السيد الوزير): نحن لا نقر العنف لا من المدرسين على الطلبة، ولا من الطلبة على المدرسين... وأي حادث عنف يرتكبه الطلاب ضد مدرسيهم سواء كان اعتداء بالقول أو بالفعل...»[30] وبذلك تتمثل مظاهر العنف لدى الطلبة في صورة اعتداء بعضهم على بعض، أو اعتدائهم على معلميهم بالقول كالسب والشتم أو بالفعل كالضرب مثلا !

حجم ظاهرة العنف لدى الطلبة في مصر :

لقد شغلت ظاهرة العنف لدى الطلبة بعض السادة نواب الشعب، واهتموا بها، وتقدم أحدهم (رجب هلال حميدة) بطلب إحاطة موجه إلى السيد وزير التربية والتعليم عن ظاهرة العنف الطلابي داخل المدارس، ومعرفة خطة الوزارة وما اتخذته من أساليب علاجية ووقائية لمحاصرة الظاهرة.

والذي دفع السيد النائب إلى تقديم هذا الطلب يقول: «هو متابعة بعض الأعضاء في المجلس الموقر من أعضاء الحزب الوطني والمعارضة والمستقلين... وما ذكره الزملاء عن بعض الأحداث في مدينة الإسكندرية.. وما ينشر في الصحف ... حيث نشرت جرائد الأحرار والوفد والأهرام والأخبار والجمهورية كل هذه الصحف تكلمت ونشرت عن هذه القضية. (يقصد العنف لدى الطلاب)

ويستطرد السيد النائب قائلا: بل إن تقرير الأمن العام هو تقرير من جهة سيادية تتابع الأمر وترقبه جيدا، يؤكد تقرير الأمن العام أن هناك ثمانية عشر طالبا

توجه إليهم جرائم القتل وثمانية عشر طالبا متهمون (بالفتونة). وهناك مائة وأربعون قضية شغب مسجلة ضد الطلاب في عام واحد لقيامهم بهذه الأعمال، وهناك طلاب في الفيوم (عشرون طالبا بمحافظة الفيوم) أوقفوا القطار لأنهم تشاجروا من أجل فتاة، وتصادف وجود أحد رجال الشرطة السريين داخل القطار فعندما أراد أن يتعامل معهم ما كان منهم إلا أن ضربوه بالمطواة... وهؤلاء الطلاب قاموا بتعطيل القطار رقم (143) القادم من الفيوم إلى القاهرة نتيجة تشاجر عشرون طالبا من مدرستي الفيوم التجارية والثانوية الصناعية، ويستطرد النائب ويقول: وفي طنطا قام طلاب إحدى المدارس الثانوية تجاوبا مع زميل لهم بضرب أستاذ أمام زملائهم من الطلاب، وأيضا في نفس المسلسل ونفس الإطار طالب اسمه (وليد كامل) لقي مصرعه بسبب اعتداء زميل له بمدرسة بورسعيد الثانوية الصناعية.

ويقول النائب هناك أمور كثيرة جدا في مدرسة الطبري شيراتون، وفى مدرسة طلعت حرب، استخدمت فيها المطاوي والسنج، وتمكنت المباحث من ضبط خمسة عشر طالبا متهما والذي قام بالتحقيق... المحامى العام الأول لنيابات القاهرة، وانتهى النائب من كلامه قائلا الموضوع جد خطير[31]

وخلاصة القول: إنها ثقافة عنف وكراهية وانتقام أعمى وبغض للإنسان وقمع لحقوقه وحقوق المجتمع في حياة آمنة.

ويتضح من تحليل الإحاطة الموجه من السيد النائب إلى السيد وزير التربية والتعليم أن:

1- ظاهرة العنف لدى الطلبة شغلت اهتمام الرأي العام والأحزاب السياسية أغلبية ومعارضة وأصبحت قضية متداولة.

2- كما شغلت اهتمام الصحافة والجرائد المختلفة من قومية وحزبية وأصبحت قضية رأى عام.

3- كما شغلت أيضا اهتمام المؤسسة التشريعية والمؤسسة الأمنية.

4- الفعل الإجرامي المكون لظاهرة العنف لدى الطلبة تنوع بين القتل، والضرب، والفتونة، أو البلطجة، وتعطيل سير القطارات.

5- أعداد الطلاب الذين تم القبض عليهم وتم التحقيق معهم بلغت (18، 18 20، 15،20) طالبا +140 قضية شغب مسجلة ضد الطلاب لقيامهم بأعمال عنف.

6- الأدوات والوسائل المستعملة في العنف لدى الطلاب تتراوح بين المطاوى والآلات الحادة وغيرها.

7- العنف لدى الطلبة لم يعرف بيئة معينة دون أخرى، بل امتد إلى مدارس في بيئات وأماكن مختلفة (الإسكندرية، الفيوم، بورسعيد، القاهرة، طنطا) والأكثر من ذلك في بيئات وأحياء راقية (مدرسة الطبري شيراتون، ومدرسة طلعت حرب، مدينة نصر).

8- تنوع فئات المجني عليهم في العنف لدى الطلبة (الطلاب، المعلمين، المال العام)

9- يغلب على ظاهرة العنف لدى الطلبة طابع العصابات، حيث لم يرتكب الفعل الإجرامي والسلوك العنيف طالب بمفرده بل مجموعة من الطلاب.

10- السلوك العنيف المكون لظاهرة العنف لدى الطلبة يظهر لدى الطلبة دون الطلبات لأن السلوك العنيف يشيع ويظهر بين الذكور دون الإناث، أو يظهر بين الذكور أكثر مما يظهر بين الإناث.

ومن هذا التحليل المتنوع لطلب الإحاطة السابق يمكن القول: إن موضوع العنف لدى الطلبة موضوع جد خطير، تكمن خطورته في أنه صادر من طلاب علم وأخلاق وبالحجم والتنوع والمظاهر السابقة، كما تكمن خطورته في عرقلة العملية التعليمية وعدم تحقيق المدرسة لأهدافها في التعليم والتربية، ومن ثم يكون هذا الموضوع في حاجة ملحة وشديدة إلى تضافر جهود مجتمعية ومؤسسية كثيرة لاحتواء تلك الظاهرة الشاذة عن طبيعة المجتمع المصري، والتغلب عليها ويصبح هؤلاء طلاب علم وأخلاق بالفعل.

موقف وزارة التربية والتعليم من العنف لدى الطلبة :

يعد العنف لدى طلبة المدارس الثانوية تحديا يواجه السياسة التعليمية والمسئولين عنها في مصر، كما يعد تحديا يواجه مديري المدارس الثانوية وهيئات التدريس والإشراف بها، كما يعد تحديا أيضا يواجه التلاميذ أنفسهم ويقلق مضاجع أولياء أمورهم.

ويتبين من تعقيب وزير التربية والتعليم (الدكتور حسين كامل بهاء الدين) ورده على طلب الإحاطة الموجه إليه من النائب، موقف الرفض من جانب الوزارة للعنف بالمدارس حيث يقول السيد الوزير: «نحن لا نقر العنف لا من المدرسين على الطلبة ولا من الطلبة على المدرسين» ويستطرد سيادته موضحا سياسة الوزارة وموقفها المتشدد تجاه أحداث العنف، فيقول: «الوزارة تأخذ موقفا شديدا تجاه أحداث العنف التي حدثت في مدينة نصر، تم فصل عشرين طالبا فصلا نهائيا من كل أنواع التعليم نتيجة اشتراكهم في هذا الحادث، وأي حادث عنف يرتكبه طلاب ضد مدرسيهم سواء كان اعتداء بالقول أو بالفعل، ليس له من عقاب إلا الفصل النهائي من التعليم. ومنذ بداية العام الدراسي (1998 – 1999)

تم فصل 90 طالبا لاعتدائهم على مدرسيهم، ولا يمكن أن تقر الوزارة اعتداء أي طالب على معلمه بأي شكل من الأشكال»[32].

ولهذا أصدر السيد وزير التربية والتعليم تجاه تلك الظاهرة الطلابية المؤسفة القرار الوزاري رقم 591 لسنة 1998 (33) بشأن منع العنف في المدارس ويتبين من تحليل محتواه أنه يتكون من الديباجة وخمس مواد، وأوضحت الديباجة الحفاظ على قدسية العملية التعليمية، وجاء ت مادته الأولى متضمنة الحظر المطلق في جميع مدارس التعليم قبل الجامعي (ومدارس التعليم الخاص) إيذاء الطالب بدنيا بالضرب على أي وجه أو بأية وسيلة، ويكون توجيه الطلاب ومتابعة أدائهم ونشاطهم قاصرا على استخدام الأساليب التربوية.

وتضمنت المادة الثانية من القرار السالف عقوبة الفصل النهائي لكل طالب يثبت اعتداؤه على أحد من المعلمين أو هيئات الإشراف في جميع المدارس في المادة الأولى. وهى مدارس التعليم قبل الجامعي العام والخاص، وجاءت المواد التالية متضمنة جوانب المسئولية الكاملة لتنفيذ هذا القرار، والمسئولية التأديبية لمخالفة أحكامه، وسريانه والعمل به من تاريخ نشره.

ولكن يلاحظ أن المادة الأولى من هذا القرار لم توضح الأساليب التربوية الواجب استخدامها تحديدا في توجيه الطلاب ومتابعة أدائهم ونشاطهم.

هوامش الفصلين الأول والثاني

1- جين-كلود: تاريخ العنف (في) المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية – ظاهرة العنف العدد 132 اليونسكو، ص 51.

2- محمد السيد أبو المجد عامر: دراسة مقارنة للعوامل المؤدية للعنف في البيئة المدرسية وكيفية التخفيف من حدتها من منظور الخدمة الاجتماعية في كل من الريف والحضر. مجلة العلوم النفسية والتربوية، (تصدرها كلية التربية جامعة المنوفية) العدد الثالث السنة 13، 1998، ص 125.

3- طلعت إبراهيم لطفي: التنشئة الاجتماعية وسلوك العنف عند الأطفال –دراسة ميدانية لمجموعة من التلاميذ في مرحلة التعليم الابتدائي لمدينة بنى سويف، (في) علياء شكري: الأسرة والطفولة – دراسات اجتماعية، وانثروبولوجية ط 1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (ب – ت).

4- محمد السيد أبو المجد عامر: دراسة مقارنة للعوامل المؤدية للعنف في البيئة المدرسية، (مرجع سابق).

5- محمد السيد حسونة: بعض المشكلات السلوكية لدى طلاب المرحلة الثانوية، (ظاهرة العنف)، المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية، شعبة بحوث المعلومات التربوية، القاهرة، 1999.

6- ديوبولدب فان دالين: مناهج البحث في التربية وعلم النفس، (ترجمة محمد نبيل نوفل وآخرين)، الأنجلو المصرية، القاهرة، 1983. ص 312 وما بعدها.

وغريب محمد سيد أحمد: تصميم وتنفيذ البحث الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص 224.

وعبد الباسط محمد حسن: أصول البحث الاجتماعي، ط5، مكتبة وهبة، القاهرة، 1976، ص 224.

7- جمهورية مصر العربية – مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز – 1999. ص 437

8- Clark, Christine: The violence that Creates School dropouts in Multicultural Education, Vol. 6 (No. 1 Fall 1998) P. 19-22

9- طلعت إبراهيم لطفي: التنشئة الاجتماعية وسلوك العنف، (مرجع سابق) ص 182

10- محمد عرفه: التأثير السلوكي لوسائل الإعلام.

11- توماس بلات: مفهوم العنف (في المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية)، ظاهرة العنف (مرجع سابق) ص 19.

12- طلعت إبراهيم لطفي: التنشئة الاجتماعية وسلوك العنف (مرجع سابق) ص 186.

13- محمد عرفه: التأثير السلوكي لوسائل الإعلام.

14- المرجع السابق.

15- طلعت إبراهيم لطفي: التنشئة الاجتماعية وسلوك العنف (مرجع سابق) ص 189

16- المرجع السابق.

17- المرجع السابق، ص 183.

18- المرجع نفسه.

19- Meyer, Aletal.S Fareell. Allort D: Social Skills Training to promote Violence in Urban Sixth Grade Students in (Education and treatment of children, Vol. 21, No. 4, Nov, 1998), P. 461 - 46

20- اليونيسيف: تقرير وضع الأطفال في العالم – التعليم 1999. ص 17.

21- مجلس الشعب: (الفصل التشريعي السابع - دور الانعقاد الرابع) مضبطة الجلسة الستين (18 ابريل 1999)، ص 23.

22- برادي أ. ليفنون: الانضباط ورؤية من المستويات الأدنى، حجج الطلبة ومنطقهم لعدم الانصياع في المدارس الثانوية في الولايات المتحدة، (ترجمة) أسعد حليم، مجلة مستقبليات العدد (108)، مراقبة الانضباط في المدرسة، مجلد 28، عدد 4، ديسمبر 1998، اليونسكو، ص ص 603 – 604.

23- Meyer, Aleta L.S Farrel, Allort D: Social Skills Training to promote Violince in Urban Sixth Grade Students, Op,Cit.

24- محمد السيد حسونة: بعض المشكلات السلوكية، (مرجع سابق)، ص ص 4-5

25- ماريانو نارودوسكى: نظام الإنذارات لعلاج سوء السلوك في المدارس الثانوية بالأرجنتين، (ترجمة مجدي مهدي)، مجلة مستقبليات، العدد 108، مجلد 28، اليونسكو، ديسمبر 1998، ص ص 551-555-556.

26- محمد السيد حسونة: بعض المشكلات السلوكية، (مرجع سابق)، ص 6.

27- الفريد فيرلان: مشكلات الانضباط في النظام المدرسي في المكسيك (ترجمة) بهجت عبد الفتاح عبده، مجلة مستقبليات عدد رقم 108 (مراقبة الانضباط في المدرسة، مجلد 28، عدد 4، اليونسكو، ديسمبر 1998، ص 561.

28- المجلس القومي للتعليم والبحث العلمي والتكنولوجيا: المشكلات السلوكية لطلاب التعليم الثانوي، الدورة الخامسة والعشرون، 1997 – 1998، ص 28.

29- المرجع نفسه.

30- حسين كامل بهاء الدين: (وير التربية والتعليم): مضبطة الجلسة الستين، (مرجع سابق)، ص 32.

31- مجلس الشعب: مضبطة الجلسة الستين، (مرجع سابق)، ص ص 31-32.

32- المرجع نفسه.

33- القرار الوزاري رقم 591 لسنة 1998 (بشأن منع العنف في المدارس).